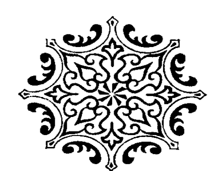


سبيل النجاة

في الحب في الله والبغض في الله

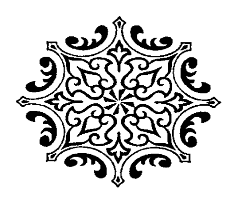
تأليف

يوسف بن اسماعيل النبهاني

(١٢٦٥ هـ - ١٣٥٠ هـ)

تقديم وتحقيق وتعليق

أ. صفوت جودة أحمد







الكتـــــاب : سبيل النجاة في الحب فى الله والبغض فى الله
المؤلـــف : تأليف بن إسماعيل النبهاني
المقـــاس : 24 X 17
الناشـــر : دار الخلود للتراث
رقم الايداع : 2007/25035
الترقيم الدولى : 4-20-6177-977
الإخراج الفنى والطباعة :
مطبعة التقوى ـ ٠١٢٢٧٧٧٩٦٥

دار الخلود للتراث
٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
☎ ٢٥٩١٩٧٢٦ - فاكس ٠١٨١٦٠٧١٨٥
dar_alkholoud@yahoo.com





إهداء

إلى روح أستاذي المرحوم فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود بن الشريف صاحب كتاب الحب في القرآن عليه سحائب الرحمة والمغفرة من الله تعالى.

صفوت جودة أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق :

الحمد لله وحده ، وصلواته وتسليماته على أشرف خلقه وخاتم رسله ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن استن بسنتهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعد،،

الحب سمة من سمات الحياة الروحية فى عقيدة المؤمن ، وعاطفة لها وزنها فى الجو الإسلامى - والمحيط الدينى والمجتمع العقدى .

وما فرح المسلمون بشىء بعد فرحهم بكلمة التوحيد كما فرحوا بكلمة الحب . .

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، وقال : متى الساعة ؟ فقال له ﷺ : وماذا أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة إلا أنى أحب الله ورسوله : فقال ﷺ : «**المرء مع من أحب**» .

قال أنس بن مالك : وهو راوى هذا الحديث الشريف : ما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام كفرحهم بذلك . فرح المسلمون بأمر الحب ، وبالأمر بالحب ، وشغلهم ما فرحوا به . . شعلهم الحب ولا غرو؟ فقد سمعوا رسول الله ﷺ عندما يناجى ربه يدعوه ويسأله الحب ، ويتوجه إليه متوسلاً قائلاً :

«**اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك وحب ما يقربنى الى حبك**»[1] .

---

(١) رواه الترمذى

والإيمان في الإسلام قائم على المحبة ، ومؤسس على المودة . قال رسول الله ﷺ «**والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم**»[١] .

فجعل دخول الجنة متوقفًا على الإيمان، وجعل الإيمان متوقفًا على المحبة ، فالمحبة شرط في الإيمان وركن في العقيدة، وأساس في الدين .

والمحبة كذلك شرط في استكمال الإيمان وتمامه «من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان»[٢] .

فالإيمان : أساسه الحب ، وكماله بالحب ، وأوثق عراه الحب .

قال ﷺ لأبي ذر : يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال ﷺ : «**الموالاة في الله ،والحب في الله**»[٣] .

وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال : «**من أوثق عُرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله**» ، هذا هو الإيمان : قاعدته وركيزته حب ، وسنامه وذروته حب، وبناؤه حب ، وتمامه وكماله وجلاله بالحب ، حب الله .. وحب رسول الله الذي يقول «**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ومن نفسه التي بين جنبيه ومن الناس أجمعين**»[٤] .

وقال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ « يا رسول الله ، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ : لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي .

---

(١) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو داود عن أبي أمامة .
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس .
(٤) رواه مسلم وأبو هريرة عن ابن عباس .

فقال عليه الصلاة والسلام : الآن يا عمر[١] .

وحب الخير للغير من كمال الإيمان ، قال رسول الأنسانية عليه أفضل صلاة وأتم سلام «**لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» .

وقال «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله**»[٢] .

ومن محبة المشرع الحكيم سبحانه تنبع محبة شرعه وشريعته ، ومحبة من نزلت عليه شريعته ومحبة كلامه سبحانه ، ومحبة من نزل عليه كلامه .

«**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**» أجل يحببكم الله .

فالله سبحانه وتعالى يحب .. يحب من أحب دينه ، وكلامه ، ورسوله ، واتبع شريعته .

وكتاب سبيل النجاة الذى بين أيدينا الآن يعلمك الحب : الحب في الله، والحب لله، والبغض في الله، والحب لرسول الله ﷺ وللدعاة إلى الدين وللهداة إلى الله فقد استفاض في الحديث عن هذه العاطفة الساميه النبيله وأورد ما جاء حولها من نصوص قرآنيه ونبويه وأقوال المحبين وأهل الهوى الإلهى .. وفصلها وفسرها وأبان أمارات الحب وعلاماته.

فكان جملة تفسيريه للحب الإلهى وحب رسول الله ﷺ وأنه سمه من سمات الحياة الروحية في عقيدة المؤمن.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد تحدثوا عن الحب وأشاروا إليه وأشادوا به. وفي هذا الكتاب حديث القرآن والسنة وأقوال العارفين بالله عن الحب والمحبه والأحباب .

والله ولى التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منفلوط

صفوت جودة أحمد

---

(١) أى : الآن كمل إيمانك . وهذا الحديث رواه الشيخان .

(٢) رواه الحاكم عن أبي هريرة .

التعريف بالمؤلف

يوسف بن إسماعيل النبهاني

صاحب كتاب (سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله)

المولود : ١٢٦٥ هـ .

المتوفى : ١٣٥٠ هـ .

اسمه : يوسف بن إسماعيل بن محمد بن ناصر الدين النبهانى نسبة لبنى نبهان ، قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان قرية «اجزم» الواقعة جنوب الشمال من أرض فلسطين من البلاد المقدسة .

مولده : ولد بقرية «أجزم» سنة خمس وستين بعد المائتين والألف تقريباً .

تعلمه : قال عن نفسه : قرأت القرآن على سيدى ووالدى الشيخ الصالح الحافظ المتقن . لكتاب الله الشيخ إسماعيل النبهانى . وهو الآن فى عشر الثمانين، كامل الحواس ، قوى البنية ، جيد الصحة ، مستغرق أكثر أوقاته فى طاعة الله تعالى، وكان ورده فى كل يوم ثلث القرآن ، ثم صار يختم كل أسبوع ثلاث ختمات ، والحمد لله على ذلك ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[١] .

ثم أرسلت إلى مصر لطلب العلم فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرة المحرم الحرام افتتاح سنه ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف . وأقمت فيه إلى رجب سنه تسع وثمانين .

وفى هذه المرة أخذت ما قدر الله لى من العلوم الشرعية ووسائلها عن أساتذتى الشيوخ المحققين وجهابذة العلماء الراسخين ، من لو انفرد كل واحد منهم

---

(١) سورة يونس آية (٥٨) .

فى إقليم لكان قائد أهله إلى جنة النعيم ،وكفاهم عن كل من عداه فى جميع العلوم ، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم .

شيوخه : قال : أساتذتى أحدهم بل أوحدهم الأستاذ العلامة المحقق والملاذ الفهامة سيدى الشيخ إبراهيم السقا الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين ،وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل فى قراءة الدروس، حتى صار أكثر العلماء تلاميذه إما بالذات أو بالواسطة يعنى بذلك أنهم تتلمذوا عليه مباشرة أو تتلمذوا على من تتلمذ عليه أو على كتبه .

قال : لازمت دروسه – رحمه الله – ثلاث سنوات ، وقرأت عليه شرحى التحرير والمنهج– لشيخ الإسلام زكريا الأناصرى بحاشيتهما للشرقاوى والبيجرمى .

وقال : ومن أشياخى الشيخ محمد الدمنهورى الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة .

وسيدى الشيخ إبراهيم الزور الخليلى الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين عن نحو السبعين .

وسيدى الشيخ أحمد الأجهورى الضرير الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين .

وسيدي الشيخ السيد عبد الهادى نجا الأبيارى المتوفى سنة ألف وثلثمائة وخمس وقد أناف على السبعين .

وسيدى العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى .

وسيدى الشيخ عبد القادر الرافعى الحنفى الطرابلسى شيخ رواق الشوام .

وسيدي الشيخ يوسف البرقاوى الحنبلى شيخ رواق الحنابلة حفظهم الله وأدام النفع بعلومهم .

توليه القضاء :

حين نبه ذكره وعلا قدره ، اختير قاضياً فى ولايات الشام ، وظل يتقلب فى مناصب القضاء حتى أصبح رئيساً لمحكمة الحقوق العليا فى بيروت ، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى أحيل إلى التقاعد لبلوغه السن القانونية .

وعند ذلك انقطع للعبادة والتأليف وخدمة الإسلام بمؤلفاته الكثيرة وكان قد جاوز فى مدينة الرسول ﷺ مدة طويلة ، عاد بها إلى الشام حيث استقر بها حتى وافته منيته رحمه الله .

مؤلفاته :

للشيخ النبهانى مؤلفات كثيرة يدور الكثير منها حول سيرة النبى ﷺ وعترته الطاهرة وله كتب فى التفسير والحديث والوعظ والرقائق والآداب الاجتماعية .

١- الرحمة المهداة فى فضل الصلاة .

٢- السابقات الجياد فى مدح سيد العباد ﷺ .

٣- تنبيه الأفكار لحكمة إقبال الدنيا على الكفار .

٤- دليل التجار إلى أخلاق الأخيار .

٥- الأربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ .

٦- الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى .

٧- الأنوار المحمدية فى مختصر المواهب اللدنية (القسطلاني) .

٨- الأحاديث الأربعين فى وجوب طاعة أمير المؤمنين .

٩- أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ .

١٠- رسالة التحذير من اتخاذ الصور والتصوير .

١١- مختصر رياض الصالحين للنووى .

١٢- الرائية الكبير .

١٣- الفضائل المحمدية .

١٤- تهذيب النفوس فى ترتيب الدروس .

١٥- سبيل النجاة فى الحب لله والبغض فى الله **(وهو الكتاب الذى بين أيدينا)** .

وقد بلغت مؤلفاته أكثر من خمسين كتابًا متنوعًا فى جميع النواحى المختلفة .

وفاته : ظل الشيخ النبهانى مقيمًا على العبادة والتأليف ، وقد عكف فى المدينة المنورة فترة قبل أن يعود إلى بيروت .

صفوت جودة أحمد





مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى جعل الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله حبيب الرحمن ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ،

فهذا كتاب نبهت به الغافلين مثلى من المسلمين على وصف عظيم من أوصاف المؤمنين الكاملين ، وهو الحب فى الله والبغض فى الله **(وسميته سبيل النجاة فى الحب فى الله والبغض فى الله)** أى حب من أحبه الله من المؤمنين ، والصالحين والمتصفين بما يقتضى المحبة من أسباب الدين ، وبغض من أبغضه الله من الكافرين ، والمبتدعين والفاسقين ، والمتصفين ، بما يقتضى البغض من أوصاف المخالفين ،وكلاهما درجات بحسب ما يتصف به من تحبه أو تبغضه ، من الأوصاف، والحالات ولا فرق فى ذلك بين الأحياء والأموات ، فإنا نحب بحب الله سيدنا محمدا ﷺ ، أكثر من سائر المخلوقات ، ونحب كل من ورد الثناء عليهم فى الكتاب والسنة ، وكلام الأئمة الثقات ، من الأنبياء والأولياء والصالحين والصالحات، ونبغض ببغض الله جميع من ورد ذمهم عن الله ورسوله وأئمة الأمة من الكفار والفساق وأهل البدع والضلالات .

وقد يحب الإنسان من وجه ويبغض من وجه إذا اتصف بما يقتضى ذلك من الحسنات والسيئات ،كأن كان مؤمنا فاسقا فنحبه للإيمان ونبغضه للفسق ولكل امرئ ما نوى فإنما الأعمال بالنيات .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم ، أن ينفع به النفع التام العميم بجاه نبيه الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم ورتبته على فصول .

بعض ما ورد فى ذلك
من الآيات القرآنية وتفسيرها

قال الله تعالى ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾(١) . قال الفخر الرازى(٢) فى تفسير سورة آل عمران بعد هذه الآية واعلم أنه تعالى أنزل آيات أخر كثيرة فى هذا المعنى منها قوله تعالى ﴿ لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾(٣) .

وقوله تعالى ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(٤) وقوله تعالى ﴿ لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾(٥) وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٦) .

وقال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(٧) .

قال رحمه الله تعالى بعد ما ذكر واعلم أن كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه :

احدها : أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع منه ، لأن كل من

---

(١) سورة آل عمران آيه (٢٨) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى الملقب بفخر الدين . ولد سنة ٥٤٤ هـ كان إماما في التفسير وعلوم الكلام والعلوم العقلية واللغوية . من أهم مصنفاته تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب . توفي سنة ٦٠٦ هـ .

(٣) سورة آل عمران آية (١٤٨) .

(٤) سورة المجادلة آية (٢٢) .

(٥) سورة المائدة آيه (٥١) .

(٦) سورة الممتحنة آيه (١) .

(٧) سورة التوبة آيه (٧١) .

فعل ذلك كان مصوبا له فى ذلك الدين ، وتصويب الكفر كفر ،والرضى بالكفر كفر ، فيستحيل أن يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة .

وثانيها : المعاشرة الجميلة فى الدنيا بحسب الظاهر ، وذلك غير ممنوع منه .

والقسم الثالث : وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين هو أن موالاة الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة والمظاهرة والنصرة إما بسبب القرابة ، أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل ، فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهى عنه لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته والرضا بدينه ، وذلك يخرجه عن الإسلام فلا جرم هدد الله تعالى فيه فقال ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ** ﴾[١] انتهى كلام الفخر الرازى .

وقال الشيخ علاء الدين الخازن [٢] : ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم ، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين ، أو يكون المؤمن فى قوم كفار ، فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، دفعًا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما ، أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين أهـ .

وقال تعالى ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾[٣] .

قال الخازن : أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين ، وإن كان مؤمنا لا يوالى من كفر ، لأن من أحب أحدًا امتنع أن يحب عدوه ، فإن قلت قد اجتمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم ، فما هذه المودة

---

(١) سورة آل عمران آيه (٢٨) .

(٢) هو علاءالدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن خليل البغدادى الشافعي الصوفي . ولد سنة ٦٧٨ هـ ببغداد . من مؤلفاته لباب التأويل في معاني التنزيل .
توفى رحمه الله سنة ٧٤١ هـ بمدينة حلب .

(٣) سورة المجادلة ايه (٢٢) .

المحظورة ؟ قلت : المودة المحظورة هى مناصحتهم وإرادة الخيرة لهم ، دنيا ودينا مع كفرهم فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ، وبالغ تعالى فى الزجر عن مودتهم بقوله ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[١] يعنى أن الميل إلى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ، ومع هذا فيجب أن يطرح الميل إلى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين . انتهى كلام الخازن .

وقال **أبو البركات النسفى**[٢] فى تفسير هذه الآية : أى من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين . والمراد أنه لا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ، مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ، ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم ،وزاد ذلك تأكيدا وتشديداً بقوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾[٣] الآية ثم قال : قال سهل يعنى ابن عبد الله التسترى[٤] من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ، ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ، ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ، ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها ، أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ، ومن ضحك إلى مبدتع نزع الله نور الإيمان من قلبه ، ومن لم يصدق فليجرب أهـ .

---

(١) سورة المجادلة آيه (٢٢)

(٢) هو أبو البركات عبد الله أحمد بن محمود النسفي الحنفي – كان إماما زاهدا عالماً بالفقه والأصول بصيراً بكتاب الله بارعاً في حديث رسول الله ﷺ له تصانيف كثيرة في الفقه وأصوله . وأصول الدين وله في التفسير كتابه المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، توفى سنة٧٠١ هـ .

(٣) سورة المجادلة آيه (٢٢) .

(٤) هو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتعلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال من كلامه : الناس نيام ، فإذا انتبهوا ندموا ،وإذا ندموا لم تنفعهم ندائمهم .

– أعمال البر يعملها البر والفاجر ، ولا يجتنب المعاصي إلا صديق .

– شكر العلم والعمل ، وشكر العمل زيادة العلم .

توفى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

وقال الخطيب[١] عند تفسير هذه الآية ، قال القرطبي : استدل مالك[٢] بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم اهـ .

وقال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾[٣] الآيات إلى قوله تعالى ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[٤] القسط العدل **قال سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الصاوى فى حاشية الجلالين:** نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لأن الآية الأولى عامة فى سائر الكفار مطلقا، ولو كانوا مصالحين ، ثم بينها أن من كان من الكفار الذين تحت الذمة والصلح اهـ. **وذكر صاحب الكشاف**[٥] وغيره من المفسرين فى سبب نزول هذه الآية أقوالا منها :

أن قيلة بنت عبد العزى[٦] ، والدة أسماء بنت أبى بكر ، قدمت عليها من مكة إلى المدينة وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ، ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها .

---

(١) هو الإمام العلامة شمس الدين محمد بن محمد الشربيني ، القاهري الشافعي الخطيب تلقى العلم عن كثير من مشايخ عصره ، صاحب كتاب السراج المنير .. في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، اشتهر في تفسيره بسهولة المأخذ ممتع العبارة ، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل نقل فيه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف ، توفى عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٩٧٧ هـ (سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة) .

(٢) يعني – الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه إمام المذاهب وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية . ولد بالمدينة عام ٩٣ هـ ساله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به فصنف الموطأ . ولمحمد أبي زهرة كتاب مالك بن أنس حياته وعصره راجع الديباج المهذب ١٧–٣٠ .

(٣) سورة الممتحنة آيه (١ : ٨) .

(٤) سورة الممتحنة آيه (٨) .

(٥) صاحب الكشاف : هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله ولد سنة ٤٦٧ هـ بقرية تسمى زمخشر من قري خوارزم أخذ العلم عن كبار العلماء من مؤلفاته أساس البلاغة في اللغة – المفصل في النحو – رؤوس المسائل في الفقه – توفى سنة ٥٣٨ هـ رحمه الله .

(٦) زوجة أبى بكر الصديق تزوجها في الجاهلية وطلقها في الإسلام .

وقال العارف الصاوى : روى أن سارة وهى من موالى قريش قدمت المدينة فقال لها رسول الله ﷺ أمهاجرة جئت قدمت المدينة فقالت : لا فقال أمسلمة جئت ؟ قالت : لا قال ما جاء بك ؟ قالت : كنتم الأهل والموالى ، والأصل والعشيرة ، وقد ذهب بعض الموالى يعنى قتلوا يوم بدر ،وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى فقال عليه السلام : فأين أنت من شباب أهل مكة ؟ وكانت مغنية قالت : ما طلب منى شيء بعد وقعة بدر . فحث رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب على إعطائها ليكسوها وحملوها وأعطوها فخرجت إلى مكة اهـ .

وقال سيدي محيى الدين بن العربى فى الفتوحات المكية [١] : نزل ضيف من غير ملة إبراهيم بإبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم عليه السلام : وحد الله حتى أكرمك وأضيفك . فقال يا إبراهيم من أجل لقمة أترك دينى ودين آبائى ؟ فانصرف عنه فأوحى الله إليه « يا إبراهيم صدقك ، لى سبعون سنة أرزقه وهو يشرك بى فتريد أنت منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة » فلحقه إبراهيم عليه السلام وسأله الرجوع إليه ليقريه ، واعتذر إليه ، فقال له المشرك : يا إبراهيم ما بدالك؟ فقال : إن ربى عاتبنى فيك . وقال لى : أنا أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بى ، وأنت تريد منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة ، فقال له المشرك : أو قد وقع هذا؟، مثل هذا ينبغى أن يعبد ، فأسلم ورجع مع إ براهيم عليه السلام إلى منزله ، ثم عمت كرامته خلق الله تعالى من كل وارد ورد عليه فقيل له فى

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، الطائي، الأندلسي المعروف بابن عربي . ولد بدسيه سنة ٥٦٠ هـ (ستين وخمسمائة من الهجرة) ثم انتقل إلى أشبيلية سنة ٥٦٨ هـ وبقي بها نحو من ثلاثين عاما ، تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى ظهر نجمه، وعلا ذكره .
برع في كثير من العلوم ، فكان عارفاً بالآثار والسنة ، أخذ الحديث عن جمع من علمائه وكان شاعراً وأديباً .
توفى بدمشق سنة ٦٣٨ هـ ودفن بها . رحمه الله .
كتابه الفتوحات يعد دائرة معارف حقيقية للتصوف الإسلامي ، وهو يتكون من سبعة وثلاثين سفراً ، يحتوي كل سفر على نحو ٣٠٠ صفحة .

ذلك فقال ، تعلمت الكرم من ربى ، رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم ، فأوحى الله إليه «أنت خليلى حقًا» قال ﷺ :«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[١].

عن المرء لا تسأل عن قرينة ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

ثم قال رضى الله عنه قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**﴾[٢] .

وقد قلنا : بأن الخليل على دين خليله ، وهؤلاء الموصوفون بأنهم أعداء الله، مع وأن الله يحسن إليهم فذلك لجهلهم به وحجب الأسباب دونهم فى أعينهم فلا يعلمون إلا ما شاهدوه ، فمن أراد تحصيل هذا المقام وأن يكون خليلا للرحمن فليحمل معنى الآية فى قوله تعالى ﴿ **لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ** ﴾[٢] ويخصها بجهل الأعداء ه أن الأحسان منه تعالى ، فهو محسن إليهم مع عدواتهم ، ولم يجعل فى قلوبهم الشعور بذلك ، فينبغى للإنسان الطالب مقام الخلة ، أن يحسن عامة لجميع خلق الله ، كافرهم ومؤمنهم ، وعاصيهم وطائعهم ، وأن يقوم فى العالم من قوته مقام الحق فيهم ، من شمول الرحمة ، وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه ، وفى وصل الإحسان إليهم من حيث لا يشعرون ، فمن عامل الخلق بهذه الطريقة نجا ، وهى طريقة سهلة فإنى دخلتها وذقتها فما رأيت أسهل منها ولا ألطف ولا فوق لذتها لذة .

فإن كان العبد بهذه المثابة صحت له الخلة ، وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن ، فدعا الله لهم فى نفسه بنه وبين ربه ، هكذا تكون حالة

---

(١) الحديث في المشكاة وأخرجة العسكري عن أنس بن مالك ، المرء علي دبن خليله ولا خير في صحبة من لا يري لك من الخير مثل الذى تدى له » .

(٢) سورة الممتحنة آيه (١) .

الخليل ، فهو رحمة له ولولا الرحمة الإلهية لما كان الله تعالى قال ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[١] ولما كان الله يقول : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾[٢] أليس هذا كله إبقاء عليهم إلى آخر ما قال فى هذا المعنى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين .

وسيأتى فى كلام الإمام الغزالى أنه قد تجتمع أسباب المحبة وأسباب البغض فى شخص واحد ، فنحبه لله من حيث كونه مؤمنا مثلا ، ونبغضه من حيث كونه فاسقا ، وليس فى كلام سيدي محيى الدين السابق ما فيه مناقضة فإنه لم يقل إنك تحب الكافر من حيث إنه كافر ، وإنما قال : إنه يطلب شمول الرحمة والإحسان إلى الكافرين تخلقا بأخلاق الله تعالى فى حقهم فى هذه الدنيا ، وحكم الكفر على حاله من بغض جميع الكفار وقد غضب الله عليهم لكفرهم .

ويظهر أثره بعد الموت وعلى سبيل الدوام والاستمرار ، إلى أن يستقروا فى النار بئس القرار

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾[٣] .

قال الخازن : يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر ، وصاروا فى القبور، من أن يكون لهم ثواب الآخرة ، وذلك أن الكفار إذا دخلوا قبورهم يأسوا من رحمة الله تعالى انتهى .

---

(١) سورة الأنفال آيه (٦١) .
(٢) سورة التوبة آيه (٢٩) .
(٣) سورة الممتحنة آيه (١٣) .

بعض ما ورد من الأحاديث القدسية والنبوية. قد جمعت فى ذلك أربعين حديثا أكثرها صحاح، وحسان، وها أنا أذكرها فأقول:

الحديث الأول : روى البخارى ، ومسلم عن أنس رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار .(١) »

وفى رواية لهما عن أنس أيضًا: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب فى الله ويبغض فى الله وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئًا » .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد (٢) ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . »

٣- وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من الإيمان أن يحب الرجل رجلا لا يحبه إلا لله ، من غير مال أعطاه، فذلك الإيمان » (٣) .

٤- وروى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى عنها قالت : «إن

---

(١) رواية الحديث هكذا « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار » من كتاب الترغيب للحافظ المنذرى .

(٢) صحبة الرواية (في المساجد) وكذلك – ذات منصب وجمال .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود .

رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية ، فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألـوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله تعالى يحبه »

٥- وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : « أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ : ما أعددت لها ؟ قال حب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت » وهذا لفظ مسلم .

وفى رواية لهما : ما أعددت لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ،قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بها .

وفى رواية لهما قال أنس : فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ أنت مع من أحببت فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجوا أن أكون معهم بحبى إياهم .

* وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول فى رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ : « المرء مع من أحب » .

* وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٨- وروى البخارى عن أنس وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »

٩- وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن رجلا زار أخًا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا، فلما أتى

عليه قال أين تريد ؟ قال : أريد أخالي في هذه القرية قال : هل لك من نعمة تربها عليه ؟ قال لا غير أني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» ومعنى تربها : تقدم بها وتسعى في صلاحها.

١٠- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأوراح جنود الله ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف» .

وروى البخاري « الأرواح جنود مجندة »، إلى آخره عن عائشة -رضي الله عنها- .

١١- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم» هكذا هو بحذف النون من لا تدخلوا ولا تؤمنوا .

١٢- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» .

١٣- وروى الإمام مالك في الموطأ بإسناد صحيح عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا ، وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه . وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل هذا معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك ، فقال : آلله فقلت : لله فقال آلله؟ فقلت : لله

فأخذني بحبوة ردائي فجذبني إليه فقال أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في » ومعنى هجرت بكرت وهو بتشديد الجيم وقوله آلله بهمزة ممدوة للاستفهام . والثاني بلام مد وحبوة الرداء محل الاحتباء منه .

ورواه الإمام أحمد والحاكم وصححه عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله ﷺ :« إن الله تعالى يقول : حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي » .

ورواه الطبراني وابن حبان والضياء المقدسي ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : « حقت محبتي للمتحابين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في ، وحقت محبتي للمتباذلين في ، المتحابون في ، على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء » .

١٤- وروى الإمام أحمد وأبو داود والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » .

١٥ - وروى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان فقال : « أن تحب لله ، وتبغض لله ، وتعمل لسانك في ذكر الله ، قال : وماذا يا رسول الله ؟ فقال : وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك » .

١٦ - وروى الإمام أحمد والطبراني عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يبغض لله ،ويحب لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله ، استحق الولاية لله » .

١٧- وروى الإمام أحمد بإسناد جيد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة أحلف عليهن ، لا يجعل الله من له سهم في

الإسلام كمن لا سهم له .وأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة ، والصوم، والزكاة ولا يتولى الله عبداً فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ، ولا يحب رجل قوماً إلا جعله الله معهم » .

١٨ – وروى الإمام أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرمه ربه عز وجل » .

١٩– وروى الإمام أحمد ،وأبو داود ،عن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أتدرون أى الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال قائل : الصلاة والزكاة ، وقال قائل : الجهاد ، فقال النبى ﷺ : « إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب فى الله ، والبغض فى الله » .

٢٠– وروى أبو داود والترمذى بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ؟ » .

٢١– وروى أبو داود والترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » .

٢٢– وروى أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه قال : إن رجلا كان عند النبى ﷺ ، فمر رجل به فقال يارسول الله إنى لأحب هذا ، فقال له النبى ﷺ أأعلمته ؟ قال لا قال أعلمه ، فقال إنى أحبك فى الله فقال أحبك الله الذى أحببتنى له » ورواه البيهقى فى شعب الإيمان عنه بزيادة ، ثم رجع فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ : « أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت » .

وفى رواية الترمذى « المرء مع من أحب وله ما اكتسب » .

٢٣– وروى الطبرانى بإسناد حسن عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور ، على منابر

اللؤلؤ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، قال فجثا أعرابى على ركبتيه، فقال يا رسول الله جلهم[١] لنا نعرفهم قال : « هم المتحابون فى الله ، من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

ورواه أبو داود عن عمر رضى الله عنه بلفظ ، قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال هم قوم تحابو ا بروح الله، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وأنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٢] .

٢٤- وروى أبو داود عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة المظلمة ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب فى الله ، والبغض فى الله ، قال الله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾[٣].

٢٥ – وروى أبو داود عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » .

٢٦- وروى ابن حبان وأبو الشيخ عن أنس رضى الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « المؤمنون بعضهم لبعضهم نصحة ، وادون ، وإن بعدت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاونون ، وإن قربت منازلهم وأبدانهم» .

---

(١) جلهم لنا – أكشفهم لنا ، يقال جل الشيء انكشف .
(٢) سورة يونس آيه (٦٢) .
(٣) سورة آل عمران آيه (٣١) .

٢٧- وروى الترمذى وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من عاد مريضًا ، أو زار أخا فى الله ، ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً » .

٢٨- وروى الحاكم من طريقين صحيحين أحدهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :« من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله » .

٢٩- وروى الطبرانى والضياء المقدسى عن أبى قرصافة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب قومًا حشره الله فى زمرتهم » .

٣٠- وروى البزار بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب رجلا لله فقال : إنى أحبك لله ، فدخلا جميعًا الجنة ، فكان الذى أحب أرفع منزلة من الآخرة ، الحق الذى أحب لله » .

٣١- وروى ابن حبان والحاكم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًا لصاحبه . » قال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء وهو صحيح الإسناد .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها، أعدها الله للمتحابين فيه والمتباذلين فيه » .

٣٣- وروى الطبرانى عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش » .

٣٤- وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى رزين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خيرى الدنيا

والآخرة ؟ عليك بمجالس أهل الذكر ، وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله ،وأحب فى الله ، وأبغض فى الله ، يا أبا رزين هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائرًا أخاه شيعه سبعون ألف ملك ، كلهم يصلون عليه ، ويقولون : ربنا إنه وصل فيك فصله ، فإن استطعت أن تعمل جسدك فى ذلك فافعل» .

٣٥- وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة لعمدًا من ياقوتة عليها غرف من زبرجد ، لها أبواب مفتحة ، تضىء كما يضىء الكوكب الدرى ، فقالوا : يا رسول الله من يسكنها ؟ قال : المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتلاقون فى الله » .

٣٦- وروى الإمام أحمد والبيهقى ، عن البراء بن عازب ، رضى الله عنه ، قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ فقال : «أى عرى الإيمان أوثق ؟ قالوا : الصلاة قال : حسنة وما هى بها ؟ قالوا : صيام رمضان ، قال : حسن وما هو به ؟ قالوا الجهاد ، قال حسن وما هو به ؟ قال إن أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله ، وتبغض فى الله » .

ورواه الطبرانى عن البراء بن عازب رضى الله عنه مختصرًا بلفظ قال : رسول الله ﷺ : «من أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله ،وتبغض فى الله » .

٣٧- وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذر : «يا أبا ذر أى عرى الإيمان أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : الموالاة فى الله ،والحب فى الله » .

٣٨ - وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن عبدين تحابا فى الله واحد فى الشرق وآخر فى الغرب ، لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول هذا الذى كنت تحبه فى » .

٣٩– وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب ومعنى آذنته بالحرب أعلمته بأنى محارب له » .

٤٠ – روى الترمذى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما دعاء طويلاً كان يدعو به النبى ﷺ من جملته « اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، صلحا لأوليائك ، وحربا لأعدائك ، نحب من أحبك ، ونعادى بعداوتك، من خالفك » وهذا ونحوه تعليم منه ﷺ لأمته وإلا فهو متصف بذلك بيقين .

وهذا ختام الأربعين والحمد لله رب العالمين .

ومما ورد فى ذلكَ عن بعض الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم ، ما رواه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر رضى الله عنه ، ان أصحابه كانوا ينتظرونه فلما خرج قالوا ما أبطأك عنا أيها الأمير قال أما إنى سوف أحدثكم أن أخل لكم ممن كان قبلكم وهو موسى عليه السلام قال : يا رب حدثنى بأحب الناس إليك قال : ولم ؟ قال لأحبه لحبك إياه ، قال عبد لى فى أقصى الأرض أو طرف الأرض سمع به عبد آخر فى أقصى أو طرف الأرض ، لا يعرفه فإن أصابته مصيبة فكأنما أصابته وإن شاكته شوكة فكأنما شاكته ، لا يحبه إلا لى ، فذلك أحب خلقى إلى قال : يا رب خلقت خلقا تدخلهم النار أو تعذبهم فأوحى الله إليه كلهم خلقى ، ثم قال ازرع زرعًا فزرعه ، ثم اسقه فسقاه ثم قال قم عليه فقام عليه أو ما شاء الله من ذلك فحصده ورفعه فقال ما فعل زرعك يا موسى قال : فرغت منه ورفعته قال ما تركت منه شيئًا ؟ قال مالا خير فيه أو مالا حاجة فيه قال فكذلك أنا لا أعذب إلا من لافيه خير.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في تنبيه المغترين[1] قد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام هل عملت لي عملاً ؟ فقال نعم يارب صليت وصمت وتصدقت وذكر أشياء فقال الله تعالى : هذا لك ولكن هل واليت لأجلي وليًّا أو عاديت لأجلي عدوًا فعلم عند ذلك موسى أن الحب في الله والبغض في الله من أفضل الأعمال .

بعض ما ورد في ذلك عن بعض الصحابة والسلف الصالح ومن بعدهم من العارفين رضى الله عنهم أجمعين

قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين[2] قال عمر رضى الله عنه ، إذا أصاب أحدكم ودًّا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك .

---

(١) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي يرتفع نسبه إلى الإمام محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه- ولد في دار جده لأمه بقرية من إقليم القليوبية تسمى «قلقشندة» عام ٨٩٨ هـ قضى طفولته بالريف ، وفيه حفظ القرآن الكريم ، و متون بعض الكتب ، ثم حضر إلى القاهرة عام عشرة وتسعمائه بعد وفاة والده بثلاثة أعوام .
والإمام الشعراني ، طراز فريد من الرجال أفرغت فيهم الحياة أفضل ما تملك من إحساس وشعور عبوا من روح الإسلام ووقفوا حياتهم على تبيان تعاليمه ، فكانوا للدنيا نوراً بدد ظلامها وهديا أزال ضلالها ، وكانوا لدينهم سندا وحصنا، ولتعاليمه عزًّا وعونا .
من مؤلفاته : ١- لطائف المنن والأخلاق . ٢- الأنوار القدسية في آداب العبودية .
٣ - اليواقيت والجواهر ٤- أسرار الشريعة أو أسرار الدين .
إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة والنافعة كتابه تنبيه المغترين : كتاب نفيس صغير الحجم ضمنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات معاملتهم مع الله تعالى ومع خلقه.
وفاته : توفى سنة ٩٧٣ هـ .

(٢) الإمام الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مائتي مصنف ولد عام ٤٥٠ هـ في الطبران (قصبة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام بمصر .
من مؤلفاته مقاصد الفلاسفة وفضائح الباطنية وإلجام العوام عن علم الكلام توفى ٥٠٥ هـ ببلدته .
كتابه إحياء علوم الدين : قصد به الإمام الغزالي أن يبين للناس جوهر الدين الإسلامي وأن المقصود منه هو إخلاص العبادة لله تعالى ولذلك كان لهذا الكتاب القيم النفيس أثر بالغ في نفوس المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية .
قال عنه الحافظ العراقي : إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام . جمع فيه بين ظواهر الأحكام . وقال ابن السبكي هو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها ،وإشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق .

وقال شارحه الزبيدى(١) ويروى من كلام عمر أيضًا ما أعطى عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح وقال فى الإحياء ايضا قال على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمعون إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما والله لو صمت النهار ولا أفطر وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله ، وبغض لأهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئًا .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه يوم القيامة مع من يحب .

وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم إنى إذا كنت اعصيك كنت أحب من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لى إليك .

وقال الفضل فى بعض كلامه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته ؟ بأى شهوة تركتها ؟ بأى غيظ كظمته ؟ بأى رحم قاطع وصلتها ؟ بأى زلة لأخيك غفرتها ؟ بأى قريب باعدته فى الله ؟ بأى بعيد قاربته فى الله ؟ » .

وقال رجل لمحمد بن واسع : إنى لاحبك فى الله ، فقال الذى أحببتنى له ثم حول وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض . ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرًا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى إنا إذا قيل من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله أمن العباد أنت ؟ لا والله ، أمن الصالحين أنت ؟ لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه

---

(١) هو السيد محمد الزبيدي الشهير بمرتضى ولد سنة ١١٤٥ هـ كان فقيهاً محدثاً . نشأ ببلادته ، وارتحل في طلب العلم ،وحج مراراً .

من مؤلفاته : إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي .

– إسعاف الراغبين في سيرة المصطفي وفضائل آل بيته الطاهرين .

– تاج العروس في جوهر القاموس . إلى غير ذلك من الكتب النافعة .

توفى رحمه الله يوم الأحد من شهر شعبان سنة ١٢٠٥ هـ .

ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقًا فلما شخت صرت مرائيًا والله للمرائى شر من الفاسق .

قال مجاهد : المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا ، كما يتحات ورق الشجر ، فى الشتاء إذا يبس .

وقال الإمام الغزالى فى الإحياء بعد قوله ﷺ «أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ، فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله ، كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم فى الله تعالى » .

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه تنبيه المغترين الذى بين فيه جملة صالحة من أخلاق السلف الصالح «ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غيرتهم لله تعالى إذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة ، فكانوا لا يفعلون فعلا ولا يصبحون أحدا إلا إن علموا رضا الله تعالى فيه فلا يحبون أحدًا ولا يبغضونه لعلة دنيوية .

وقد ثبت فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان ، فلو عبد الشخص ربه كعبادة الثقلين طلبًا للثواب وهو غافل عن كون ذلك من مرضاة الله تعالى فهو خارج عن الطريق وكان على بن الحسين رضى الله عنهما يقول : لايصطحب اثنان على غير طاعة الله ، إلا تفرقوا على غير طاعة الله .

وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول : إذا دخلتم على الظالمين فلا تخصوهم بالدعاء فإنهم حاربوا الله ورسوله ، ولكن ادعوا للمسلمين فإن كانوا منهم لحقتهم الدعوة (وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : إذا صحبت أحدًا لا تسأل عن مودته لك ، ولكن انظر ما فى قلبك ونفسك ، فإن ما عندك مثل الذى عنده على حد سواء، **وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول** : إذا أحدث الرجل حدثًا ولم يبغضه من زعم أنه أخوه فمحبته لغير الله ، إذ لو كانت لله لغضب على من عصاه .

وكان أبو هريرة [١] رضى الله عنه يقول : يؤتى بالعبد يوم القيامة بين يدى الله تعالى فيقول الله عز وجل له « هل أحببت لى وليًا حتى أهبك له ؟ اهـ فأحبوا الصالحين واتخذوا عندهم أيادى فإن لهم دولة يوم القيامة .

وكان الحسن البصرى [٢] رحمه الله تعالى يقول مصارمة الفاسق قربة إلى الله تعالى .

قال الامام الشعرانى بعد ما ذكرت قلت : ومراده مصارمته بالقلب أما فى الظاهر فلا ينبغى مصارمته لأجل تقويم عوجه وتبغيضه فى صفات الفسق ، فان الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، تعالى فافهم ، ذلك والله أعلم . وقد سئل سفيان الثورى رحمه الله تعالى هل يعزى الفاسق إذا مات له ميت قال لا .

وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول : من ادعى أنه يحب عبدا لله تعالى ولم يبغضه إذا عصى الله تعالى فقد كذب فى دعواه أنه يحبه لله وكان محمد ابن الحنفية رضى الله عنه يقول : « من أحب رجلاً من أهل النار لخير ظهر منه آجره الله على ذلك ، ومن أبغض رجلاً من أهل الجنة لشر ظهر منه آجره الله على ذلك » .

وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب إذا جلس بحذائه ويقول : هو خير من قرين السوء وكفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا، ويقع فى الصالحين .

وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول : ليس شيء أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين ، والنظر إلى أفعالهم ، وليس شيء أضر على القلب ، من مخالطة الفاسقين ، والنظر إلى افعالهم .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : ولى الله ريحان فى الأرض ،

---

(١) أبو هـــريرة : هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة وشهدها مع الرسول ﷺ واصبح عريف أهل الصفة أهل العلم والعبادة . بلغت رواياته خمسه آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة سبعون حديثاً . توفي سنة ٥٨ هـ عن سبعة وثمانين عاماً ودفن بالبقيع .

(٢) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعى كان إمام أهل البصرة وهو أحد العلماء الفقهاء ولد بالمدينة عام ٢١ هـ ، وشب في كنف على بن أبي طالب واستكتبه الربعي بن زياد والى خراسان . توفى بالبصرة عام ١١٠ هـ .

فإذا شمه المريدون وصلت رائحته إلى قلوبهم فاشتاقوا إلى ربهم . اهـ .

فتأمل يا أخى حالك هل أحببت أحداً لله ، أو أبغضته لله تعالى، أم أحببت بالهوى وأبغضت بالهوى فابك على نفسك ، وأكثر من الاستغفار ليلاً ونهاراً ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى ما قاله فى (تنبيه المغترين) وقال رضى الله عنه فى (البحر المورود) : أخذ علينا العهود أن نبغض العصاة لله لا بحكم الطبع ، كما نحب أهل الطاعة لله ، لا بحكم الطبع ، قال ﷺ : « الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان » .

والمراد بالبغض بغض الصفات ، لا الذوات ، لأن الصفات هى التى يكره العبد لأجلها أو يحب ، ومحك الصدق فى ذلك، أن تكره ذلك العبد العاصى وهو محسن إليك ، ولا تجد فى قلبك له محبة لأجل إحسانه ، إيثاراً لجانب الله عز وجل ، فتأمل فإنها ميزان تطيش على الذر [١] وأما عند عدم إحسانه إليك فقد تكرهه لحظ نفس . انتهى ما قاله.

وقال رضى الله عنه فى (لواقح الأنوار القدسية) [٢] ، وهى العهود الكبري، وأخذ علينا العهد التام العام من رسول الله ﷺ ، أن لا نقبل من أحد من الأشرار هدية ، كالظلمة وأهل البدع فضلا عن الكفار ، لأن المرء مع من أحب ، ولا نحب أن نحشر مع ظالم ، أو مبتدع ، ولا كافر ، فإن من قبل هدية هؤلاء مال بقلبه إليهم ضرورة إلا أن تحفة العناية بالسلوك على يد شيخ ناصح يسلك به فى حضرات التوحيد حتى يصير يشهد الملك لله عز وجل وحده ، ويتحقق بذلك

---

(١) الذر – هي النملة الصغيرة أو الهباء الذى يرى في ضوء الشمس ، والمقصد ، أن الشعور بالحب أو البغض لله دقيق جداً يحرك ميزانها أقل غرض ، مثل ميزان الذهب الدقيق ، تحركة النملة .

(٢) قال في مقدمته : هذا الكتاب نفيس لم يسبقنى أحد إلى وضع مثاله ، ولا أظن أحد نسج على منواله . ضمنته جميع العهود التى بلغتني من رسول الله ﷺ من فصل ا المامورات وترك المنهيات .
والكتاب مقسم إلى قمسين قسم المامورات ، وقسم المنهيات وهو مطبوع وتبلغ صفحاته الألف .

ذوقًا أنه إذا تنزل لنسب الشرائع ، بكسر النون أُضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم ومالم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادئ الرأى إلا للخلق ، ولا المنة فى ذلك إلا لهم دون الله تعالى ،ولا يكاد يشهد المنة لله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر ، على أن التحقيق فى ذلك أنه لا ينبغى لمسلم أن يقبل هدية من أحد من الأشرار إلا لعذر شرعى مطلقًا ، ولو كان ذلك القابل من أكابر الأولياء لأن الجزء الذى يشهد الملك للخلق . ويرى المنة لهم ببادئ الرأى يدق مع السالك فى المراتب ولا يزول بالكلية ، وهذا أمر لا يذوقه كل سالك إنما هو لأفراد منهم ، هذا حكم جميع الأمة وما خرج عن ذلك سوى الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام بعصمتهم والله غفور رحيم .

وقال رضى الله عنه فى (البحر المورود) أخذ علينا العهود أن لا نأكل من هدايا الكفار والظلمة وسائر الفسقة ، إلا لمصلحة ترجح لقوله ﷺ لما أهدى له حكيم بن حزام قبل إسلامه هدية « نحن لا نقبل هدايا المشركين » وردها ﷺ وأيضًا فإن فى الأكل من هدايا من ذكر تمييل القلب إليهم بالمحبة قهرًا علينا كما أشار إليه « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » [1] وخروج القلب عما جبل عليه عسير جدًا ، فإن ترتب على ذلك مصلحة قبلناها كما قبل النبى ﷺ هدية المقوقس بجامع الكفر وإن كان من أهل الكتاب والله غفور رحيم .

وقال رضى الله عنه فى (المنن الكبرى) ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على شدة بغضى لأهل المعاصى ولو أحبونى وأحسنوا إلى واعتقدونى ، لا سيما أهل المعاصى المستصحبة التى يعسر صحة التوبة منها كالمكاسين ، وغيرهم من سائر من يظلم الناس فى الأموال والأعراض ، هذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على ،

---

(١) روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » رواه ابن عدى ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي ، وهو ضعيف . كما ذكره السيوطى في الجامع الصغير .

فأنا بحمد الله تعالى أكره جميع العصاة ولو أحبونى ، وقبلوا شفاعتى إيثارا لجانب الله تبارك وتعالى على حظ نفسى ، وقليل من يتخلص من مثل ذلك كما أشار إليه خبر « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » فيريد الفقير أن يبغض الظالم المحسن إليه ، فلا يقدر مع ذلك ، مع تلاوته لقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ اهـ(٢) .

المرء مع من أحب

وقال العارف بالله سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى (٣) فى شرح الطريقة المحمدية عند قول رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » (٤) .

وفى رواية مسلم قال رسول الله ﷺ « للذى سأله عن الساعة ما أعددت لها؟ قال حب الله ورسوله قال : أنت مع من أحببت » (٥) قال :

وقال النووى فى شرحه : فيه فضل حب الله تعالى ورسوله ﷺ ، والصالحين ، وأهل الخير الأحياء والأموات ، ومن أفضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما ، والتأدب بالآداب الشرعية ، ولا يشترط فى الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم .

---

(١) سورة المائدة آيه (٥١) .

(٢) سورة هود آيه (١١٣) .

(٣) هو الشيخ الإمام المحقق الفقيه المحدث عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي الحنفي الدمشقي مولداً والمتوفى ١١٤٣ هـ ، كان محدثاً بارعاً واسع الأفق طويل الباع وهو متكلم في كل ما ينمي ملكه العقيدة الصحيحة وهو واسع الاطلاع في تفسير القرآن ، وكان صوفيًا واعياً سالكاً على طريق الكتاب والسنة شديد الوطأ على أهل الزيغ من الأدعياء الذين انتسبوا إلى الإسلام وشوهوا معالمه الرفيقة بما ابتدعوا فيه من قول وفعل وعقيدة .

مؤلفاته : ترك النابلسى تراثاً ضخماً هائلا من الكتب في أصول الإسلام وفروعه لم يطبع منها إلا القليل ، وما زال باقيه مخطوطاً .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورواه الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك كما في الجامع الصغير ص ١٨٥ – وروي بزيادة (وله ما اكتسب) .

(٥) رواه البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه .

وقد صرح فى الحديث بذلك فقال : رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أهل العربية : لما تنفى الماضى المستمر ، فتدل على نفيه فى الماضى ، وفى الحال بخلاف لم ، فإنها تدل على الماضى فقط ، ثم إنه لا يلزم من كونه معهم ان تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من وجه .

قال سيدى عبد الغنى وفى كتاب (حسن التنبيه فى التشبيه) للنجم الغزى: روى الطبرانى فى معجمه الكبير والحافظ ضياء الدين المقدسى فى الأحاديث المختارة عن أبى قرصافة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «من أحب قومًا ووالاهم حشره الله فيهم» .

وروى الإمام أحمد بن حنبل بإسناد جيد من حديث عائشة رضى الله عنها إن رسول الله ﷺ قال فى حديث «ولا يحب رجل قومًا إلا جعله الله منهم» .

وروى أبو داود عن أبى ذر رضى الله عنه انه قال : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم قال : «أنت يا أبا ذر مع من أحببت» فأعادها رسول الله ﷺ . فهذه الأحاديث قاضية بأن المحبة تلحق المقصر فى الأعمال عن درجات المجتهدين لمحبته إياهم بهم ، فما ظنك بمن بلغ من محبته لهم أن تشبه بهم فى الأعمال الصالحات ، والاجتهاد فى تحصيل الكمالات ، فإن قلت : كيف يقول الحسن البصرى رضى الله عنه مع هذه الأحاديث (يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول : المرء مع من أحب؟ فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم) .

قال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى «وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لا ينفع» .

وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه فى بعض كلامه : هاه نريد أن

تسكن الفردوس . وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين بأى عمل عملته ، بأى شهوة تركتها بأى غيظ كظمته ، بأى رحم قاطعة وصلتها ، بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته فى الله ، بأى بعيد قربته فى الله ؟ .

فالجواب عن ذلك : أن المحب لقوم لا يخلو حاله إما أن يكون موافقا لهم فى كل أعمالهم وأخلاقهم ، بحسب إمكانه ، أو مخالفا لهم فى كلها أو موافقا فى البعض ، فإن كان موافقًا لهم فى كل أعمالهم وأخلاقهم فهذا منهم ومعهم بلا شك ، لأن محبته إياهم أدت به إلى اتصافه بكل أوصافهم ، وتشبه بهم فى كل أحوالهم ، فقد بلغ أعلى طبقات المحبة فكيف لا يكون منهم ؟ وإن كان مخالفًا فى كل أفعالهم ، مبآينا لهم فى كل أحوالهم ،فهذا ليس منهم قطعًا .

وعلى ذلك حمل الغزالى كلام الحسن ، وكذلك يحمل عليه كلام الفضيل، لأن الظاهر أن محبته هذا مجرد دعوى ومحض ثمن ، وإن كان موافقًا فى البعض مخالفا فى البعض ، فلا يخلوا إما أن يخالفهم فى أهل الإيمان الذى هو عقيدتهم ، وذلك عين العداوة ، فأين المحبة وأى عداوة أعدى من عداوة الدين .

ومن هذا القبيل محبة اليهود والنصارى لأنبيائهم أى وكمحبة الروافض الذين بلغوا برفضهم الكفر لأهل البيت ، وإن وافقهم فى أصل الإيمان وخالفهم فى غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق والآداب رغبة عنها وأنفة منها ومحبة لما سواها أولا ؟ فإن كان الأول فهذا لا ينفعه أيضًا أهل محبته لهم مع رغبته عن أخلاقهم وأوصافهم ولا تلحقه بهم كمحبة الشيعة الذين لم يبلغوا بتشيعهم الكفر لأهل البيت مع معاداتهم لبعض أصحاب رسول الله ﷺ وإن كان الثانى بأن كانت مخالفته لهم لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم بل كان على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علو هممهم ولو تيسر له اللحاق بهم فى وصف لم يتأخر عن الاتصاف به أو فى خلق لم يتوان

عن التخلق به فهذا التقصير لا يقعده عن اللحاق بمن يحبهم ولا يؤخره عن الكينونة معهم وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة فى ذلك ولا شك فى أن قول النبى ﷺ « المرء مع من أحب » جوابًا لقول القائل يارسول الله المرء يحب قومًا ولما يلحق بهم .

وفى حديث أبى ذر ولا يستطيع أن يعمل بعملهم دليل على أن المحب لقوم معهم وإن قصر عنهم فى الأعمال والأحوال ولذلك اشتد فرح المسلمين بذلك كما قال أنس رضى الله عنه فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ أنت مع من أحببت قال أنس : فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما وأرجوا أن أكون معهم .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب (المحتضرين) عن عبد الرحمن بن صالح العجلى قال : قال : ابن السماك عند وفاته (اللهم إنك تعلم أنى كنت إذا عصيتك فإنى كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك) .

وجعل النجم الغزى رحمه الله محبة الظلمة للصالحين من القبيل الأول أى من قبيل محبة الموافقين فى أصل الإيمان والمخالفين فى غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق مع الرغبة عنها والأنفة منها والمحبة لما سواها حيث قال : ومن هذا القبيل محبة الظلمة والفسقة للصالحين وتقربهم من المباركين بعض أموالهم عليهم وإرسال الهدايا إليهم وهم مكبون على ظلمهم للناس وإسرافهم على أنفسهم فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين ولا تلحقهم بهم . انتهى كلامه .

قال العارف النابلسى بعده قلت : بل الإنصاف إن تجعل محبة الظلمة والفسقة للصالحين وتقربهم من المباركين من القبيل الثانى أى من قبيل محبة الموافقين فى أصل الإيمان والمخالفين لهم فى غيره من الطاعات لكن لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ولهذا تقربوا إليهم وأحبوهم

وأحبوا طريقتهم وتبركوا بهم ولو كان لهم رغبة عن أخلاقهم وأنفة عن أحوالهم لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلا مثل غيرهم من بقية الظلمة بل ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علو هممهم مع الاعتراف بأنهم ظالمون لأنفسهم مسرفون عليها واقعون فى الذنوب والخطايا والآثام يصرحون بذلك بالسنتهم ويضمرونه فى قلوبهم ويطلبون من الصالحين الدعاء بتيسير التوبة والتخلص فما هم واقعون فيه ولو تيسر للواحد منهم اللحاق بهم فى وصف من الأوصاف لم يتأخر عن الاتصاف به وإنما عاقهم عن ذلك ميل نفوسهم مع جواذب الهوى والطبيعة وكون أمور العامة متعلقة بهم منوطة بأنظارهم وهم مبتلون بكل ذلك جمعًا وصرفًا كما كانت هى حالة ابن السماك فى حال صدور المعصية منه كما أخبر هو عن نفسه فى وقت وفاته بقوله كما قدمناه (اللهم إنك تعلم أنى كنت إذا عصيتك فإنى كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك) وهؤلاء كذلك فى حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك ، يحبون من يطيع الله تعالى ومن يتوهمون أنه صالح، ويتقربون إليه ، ويتأدبون معه ، ويطلبون منه الدعاء ، ويهدون إليه أشرف ما عندهم ، وهو المال ، رغبة فى حصول دعائهم لهم ، فلعل الله تعالى يجعله سببًا لنجاتهم فى الآخرة ، وليس هذا الوصف فى جميع الظلمة والفسقة ، وإنما هذا فى طائفة منهم ، يرون قبح ما هم فيه من الأحوال ، وحسن ما فى أهل الخير والهدى من الصلاح ، وهم مسلمون مؤمنون ، من أهل الكتاب والسنة غير أن الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة فى جمع حطام الدنيا ، وأخذ كل ما قدروا عليه من أموال الناس ، والتبسط فى أنواع الشهوات ، فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ، ويصلح أحوالنا وأحوالهم ، وأحوال المسلمين أجمعين ، آمين انتهى كلام العارف بالله سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه .

فيما انتقيته فى معنى الحب فى الله ، والبغض فى الله، من وصايا الشيخ الأكبر، التى ذكرها فى آخر فتوحاته المكية(١)

واعلم أنه كان ينبغى ذكر ذلك مع من نقلت عنهم فى الفصل الثالث السابق، ولكنى أفردت كلام سيدى محيى الدين بهذا الفصل المخصوص لكثرة ما نقلته عنه فى ذلك ، وللاهتمام بوصاياه لنفاستها وكثرة فوائدها .

وصية - وعليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم ، وساو بينهم كما سوى الإسلام بينهم فى أعيانهم ، ولا تقل هذا ذو سلطان وجاه ومال ، وكبير ، وهذا صغير وفقير وحقير ، ولا تخفر صغيراً ولا كبيراً فى ذمته ، واجعل الإسلام كله كالشخص الواحد ، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص ، وكذلك هو الأمر فإن الإسلام ماله وجود إلا بالمسلمين ، كما أن الإنسان ماله وجود إلا بأعضائه ، وجميع قواه الظاهرة والباطنة ، وهذا الذى ذكرناه هو الذى راعاه رسول الله ﷺ ، فيما ثبت عنه من قوله فى ذلك :« المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد واحدة على من سواهم » .

وقال ﷺ :« المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » ومع هذا التمثيل فأنزل كل واحد منزلته ، كما أنك تعامل كل عضو منك بما يليق به ، وما خلق له فتغض بصرك على أمر لا يعطيه السمع ، وتفتح سمعك لشىء لا يعطيه البصر ، وتصرف يدك فى أمر لا يكون لرجلك ، وهكذا جميع قواك ، فتنزل لكل عضو منك ما خلق له ، كذلك وإن اشترك المسلمون فى الإسلام وساويت بينهم ، فأعط العالم حقه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأبى به ، وأعط الجاهل حقه من تذكيرك إياه ، وتنبيهه على طلب العلم والسعادة ، وأعط الغافل حقه بان توقظه من نوم غفلته ، بالتذكرة لما غفل

(١) يقصد - كتاب (الفتوحات المكية) للشيخ محيى الدين بن العربي وهو أربعة أجزاء .

عنه ، مما هو عالم به غير مستعمل علمه فيه ، وكذلك الطائع والمخالف ، وأعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيما هو مباح لك فعله وتركه ، فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع ، فيعودلأمر السلطان ونهيه ما كان مباحًا قبل ذلك، واجبًا أو محظوراً ، بالحكم المشروع من الله فى قوله « وأولى الأمر منكم » وأعط الصغير حقه من الرفق به ، والرحمة له ، والشفقة عليه ، وأعط الكبير حقه ، من الشرف والتوقير ، فإن من السنة رحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، ومعرفة شرفه ، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا » وفى الحديث « ويوقر كبيرنا » [١] وعليك برحمة الخلق أجمع ، ومراعاتهم كانوا ما كانوا فإنهم عبيد الله وخلق الله وإن عصوا ، وأن فضل بعضهم بعضًا فإنك إذا فعلت ذلك أجرت ، فإنه ﷺ قد ذكر « أنه فى كل ذى كبد رطبة أجر » [٢] ألا ترى إلى الحديث الوارد فى البغى إن بغيا من بغايا بنى إسرائيل ، وهى الزانية مرت على كلب قد خرج لسانه من العطش ، وهو على رأس بئر ، فلما نظرت إلى حاله نزعت خفها وملأته بالماء من البئر ، وسقت الكلب ، فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب .

قال سيد محيى الدين رضى الله عنه : وأخبرنى الحسن الوجيه المدرس بملطية الفارسى ، عن والى بخارى ، وكان ظالمًا مسرفًا على نفسه ، فرأى كلبًا أجرب فى يوم شديد البرد ، وهو ينتفض من البرد فأمر بعض شاكريته فاحتمل الكلب إلى بيته ، وجعله فى موضع حار ، وأطعمه وسقاه ودفىء الكلب ، فرأى فى النوم أو سمع هاتفًا الشك منى يقول له : يا فلان كنت كلبًا، فوهبناك لكلب، فما بقى إلا أيامًا يسيرة ومات ، فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب، وأين

---

(١) رواه الإمام الترمذى في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقال : صحيح الإسناد . الجامع الصغير ص ١٣٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه عن سراقة بن مالك ورواه الإمام أحمد عن ابن عمرو بلفظ « في كل ذات كبد حرًا أجر» وقال : صحيح الإسناد ـ الجامع الصغير ص ٧٩ .

المسلم من الكلب؟ فافعل الخير ولا تبال فيمن تفعله تكن أنت أهلا له ولتأت كل صفة محمودة من حيث ما هى مكارم الأخلاق ، تتحلى بها ،وكن محلاً لها لشرفها عند الله ، وثناء الحق عليها ، فاطلب الفضائل لأعيانها ، واجتنب الرذائل لأعيانها ، واجعل الناس تبعًا لا تقف مع ذمهم، ولا حمدهم ، إلا أنك تقدم الأولى فالأولى ، إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله ، التى شرعها المؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام .

واعلم ان المؤمن للمؤمنين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، فما فى العالم إلا من هو ساجد لله إلا بعض الثقلين من الجن والإنس فإن منهم كثيرًا ممن يسبح الله ويسجد لله ، وفيهم من لا يسجد لله ، وهو الذى حق عليه العذاب ، انظر فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا » فسماهم مؤمنين ، وأمرهم بالإيمان، فالأول عمومَ الإيمان ، فإن الله قال فى حق قوم « والذين آمنوا بالباطل » والثانى خصوص الإيمان ، وهو المأمور به ، والأول إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف ، بل ذلك عن علم ، إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف ، بل ذلك عن علم ، وأيسره فى بنى آدم إيمانهم حين أشهدهم على أنفسهم ، كما قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾[١] بالإيمان فى دار الميثاق فخاطبهم بالمؤمنين حين آيه [٢] بهم ، ثم أمرهم بالإيمان فى هذه الحالة الأخرى ، وما تعرض للتوحيد المطلق رحمة بهم ، فإنه القائل ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٣] الشرك الخفى ، وقد ذكرناه فلذلك قال لهم (آمنوا بالله) ولم يقل بتوحيد الله ، فمن آمن بوجود الله فقد آمن ، ومن آمن بتوحيده فما أشرك ، فالإيمان إثبات، والتوحيد نفى شريك، ومن أسماء الله المؤمن

---

(١) سورة الأعراف آيه (١٧٢) .
(٣) أى قال : يا أيها الذين آمنوا .
(٣) سورة يوسف آيه (١٠٦) .

،وهو يشد من المؤمن المخلوق ، قال ﷺ « يرحم الله أخى لوط، لقد كان يأوى إلى ركن شديد » وهو الاسم المؤمن فالمؤمن يشد من المؤمن فافهم .

لا نكفر أهل القبلة

وصية - قال رضى الله عنه : واحذر أن تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب فقد ثبت أنه من قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه ، ومعنى الرجوع عليه ، أنه هو الكافر ، فإنه من كفر مسلمًا لإسلامه فهو كافر، يقول الله تعالى﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾[١] فقال الله فيهم ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ** ﴾ والسفيه هو الضعيف الرأى يقولون إنهم ما آمنوا إلا لضعف رأيهم وعقلهم ، فجاز ذلك عليهم ، لقول الله ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ** ﴾ أى هم الذين ضعفت آراءهم فحال ذلك الضعف بينهم وبين الإيمان ، ولكن لا يعلمون فتحفظ من الكلام القبيح ، وهو أن تنسب صفة مذمومة لأخيك من المؤمن، وإن كان فيه لا فى حضوره ولا فى غيبته ، فإنك إذا واجهته بذلك فقد عيرته ، فما تأمن من أن يعافيه الله من تلك الصفة ، ويبتليك بها ، وقد ورد « لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك »[٢] وإن كان غائبًا فهى غيبة وقد نهاك الله عن الغيبة فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه مما يسوؤه لو قابلته به فقد اغتبته ، إن نسبت إليه من القبيح ماليس فيه فذلك البهتان، ولا بد أن تجنى ثمرة غرسك إلا أن يعفو الله بإرضاء الخصم فيعود عليك وبال ما نسبته إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه ،وكذلك خداع المؤمن ، فلا تكن ممن يخادع الله ، فإنك إن اعتقدت ذلك كنت من الجاهلين بالله ، حيث تخيلت أنك تلبس على الحق

---

(١) سورة البقرة آيه (١٣) .

(٢) رواه الإمام الترمذى عن واثلة بلفظ (لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ،ويبتليك) وقال : حسن - الجامع الصغير ص ٢٠١ .

وظننت أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون ، ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١] وإن خادعت أخاك المؤمن فما تخادع إلا نفسك كما قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢] فى خداعهم للذين آمنوا ولو كانوا مؤمنين بغير الحق فإنهم مؤمنون أيضًا بالباطل قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٣] فوصفهم بالإيمان بالباطل وقال فى حديث الأنواء فيمن قال « مطرنا بنوء كذا إنه كافر بى مؤمن بالكوكب » فهذا قولهم وما يخادعون إلا أنفسهم فى خداعهم الذين آمنوا ، وأما فى خداعهم الله فإن الله هو خادعهم بكونهم اعتقدوا أنهم يخادعون الله .

وإياك والجهل فإنه أقبح صفة يتصف بها الإنسان ، فإن كنت يا ولى ذا زوجة فأوصها بل لا تتركها ، ولا أختًا، ولا بنتًا ، ولا أى امرأة ، كانت مما تحكم عليها ، أو تعلم أنها تسمع منك ، أو أى امرأة تعرضت لك ، فانصحها ، كانت من كانت، أن لا تستعطر إذا خرجت بطيب يكون له ريح فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية » [٤] وقد ورد مقيداً فى ذلك « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » وذلك أن الليل آفاته كثيرة والظلمة ساترة وما تدرى إذا أصاب الرجل ريحها الطيب ، فى طريق المسجد ماذا تلقى منه إذا لم يتق الله فلذلك نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العشاء الآخرة ، وبالجملة فلا ينبغى أن تخرج بطيب له رائحة لا فى ليل ولا فى نهار .

---

(١) سورة فصلت آيه (٢٣) .
(٢)سورة البقرة آيه (٩) .
(٣) سورة العنكبوت آيه (٥٢) .
(٤) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

وإياك والاستهزاء والمسخرة بأهل الله فإن الاستهزاء بأهل الله استهزاء بدين الله، ولا تتخذهم ضحكة ، فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة ، فيسخر الله منك ويستهزئ بك ، وهو أن يريك بالفعل جزاء ما فعلته أنت هنا أعنى فى الدنيا بالمؤمن إذا لقيته تقول : أنا معك على طريق الهزء به والسخرية منه ، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلا، بقدر ماترايت به للمؤمنين ، من الإقبال عليهم ، والإيمان بما هم عليه أهل الله عز وجل ، وقد رأينا على ذلك جماعة من المدرسين الفقهاء ، يسخرون بأهل الله ، المنتمين إلى الله ،المخبرين عن الله ، بقلوبهم ما يرد عليهم من الله فيها فيأمر بمن هذه صفته إلى الجنة ، حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فيسرون ، كما يسر أهل الله فى حال استهزائهم بهم ، ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم ، فإذا وفى الله جزاء عملهن ، وظهرت لهم الجنة بخيرها أمر الله بهم أن يصرفوا عنها إلى النار فذلك استهزاء الله بهم كما أن هؤلاء المنافقين لما رجعوا إلى أهليهم قالوا ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[١] وقال : سخروا منه « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » كما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين بإيمانهم ، وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله فى الدنيا ، ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامة على الاستقامة يتحدثون بما أنعم الله عليهم فى بواطنهم ، يضحكون منهم، ويظهرون لهم القول عليهم ، وهم فى بواطنهم على خلاف ذلك فلا أقل يا أخى إذا لم تكن منهم أن تسلم لهم أحوالهم، فإنك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله ، ولا ما يرده العلم الصحيح ، النقل والعقل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ** ﴾[٢] هكذا والله رأيت فقهاء هذا الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ، ويضحكون منهم ، ويظهرون القول عليهم ، وهم على غير ذلك ، فاحذر من هذه صفته ، لئلا يسرقك الطبع ،

---

(١) سورة البقرة آيه (١٤) .

(٢) سورة المطففين آية (٣٠) .

فما أعظم حسرتهم يوم القيامة ، فهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، والحياة الدنيا بالآخرة ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

إياك ومعاداة أهل الله

وصية - قال رضى الله عنه : وإياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فإن لها من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا، لقيهم الله بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته ، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه فى الدنيا والآخرة وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله ، فلا تتخذه عدوًا ، وأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره ، فإذا تحققت أنه عدو الله وليس إلا المشرك فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام فى حق أبيه آزر ، قال الله عز وجل ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾[١] هذا ميزانك يقول الله تعالى ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾[٢] ومتى لا تعلم ذلك فلا تعاد عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان ، والذى ينبغى لك أن تكره فعله لا عينه ، العدو لله إنما تكره عينه ، ففرق بين من تكره عينه ، وهو عدو الله ، وبين من تكره فعله وهو المؤمن، أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم فى الوقت ، واحذر قوله تعالى فى الصحيح عنه « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »[٣] فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق فى خلقه ، فإنه لا يدرى علم الله فيه ، وما بينه الله له حتى يبرأ منه ويتخذه عدوا ، وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوا لله فى نفس الأمر، وأنت لا تعلم، فواله لإقامة حق الله ، ولا تعاده فإن الاسم الإلهى الظاهر يخصامك عند الله فلا

---

(١) سورة التوبة آيه (١١٤) .

(٢) سورة المجادلة آيه (٢٢) .

(٣) رواه الإمام البخارى في صحيحه .

تجعل لله عليك حجة فتهلك ، فإن لله الحجة البالغة ، فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة ، كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع علمه بهم وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذى هم فيه ما هم فيه بهم ، بل هم فيه به ، لما قد ذكرنا بلسان العموم، أن الله تعالى خالق كل شيء وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم ، وبلسان الخصوص ما ظهر حكم فى موجود إلا بما هو عليه فى حال العدم مهما وقع نزاع ومحاجة فسلم الأمر إليه ، واعلم أنك على ما كنت عليه ، وعم برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين ولا تقل هذا نبات وجماد ما عندهم خبر ، نعم عندهم أخبار ، أنت ما عندك خبر، فاترك الوجود على ما هو عليه ، وارحمه برحمة موجدة فى وجوده ولا تنظر فيه من حيث لا يقام فيه فى الوقت حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، فيتعين عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك ، حيث نهاك أن تتخذ عدوه وليا، تلقى إليه بالمودة ، فإن اضطرك ضعف يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير ان تلقى إليهم بمودة ، ولكن مسالمة لدفع الشر عنك ، ففوض الأمر إليه . واعتمد فى كل حال عليه إلى أن تلقاه .

التودد للمؤمنين

وصية - قال رضى الله عنه : وعليك بالتودد لعباد الله من المؤمنين ، بإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والسعى فى قضاء حوائجهم ، واعلم أن المؤمنين أجمعهم جسد واحد ، كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى ، كذلك المؤمن إذا أصيب أخوه المؤمن بمصيبة ، فكأنه أصيب بها فيتألم لتألمه ، ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثبتت أخوة الإيمان بينه وبينهم ، فإن الله[1] واخى بين المؤمنين ، كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان ، وبهذا وقع المثل

(١) واخاه مواخاة . لغة ضعيفة في آخاه . تبنى على يواخى (الصحاح) .

من النبى ﷺ فى الحـديث الثـابت وهو قـوله ﷺ « مـثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمـهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[١] .

واعلم أن المؤمن كثير بأخيه ، وأن المؤمن لما كان من أسماء الله مع ما ينضاف إلى ذلك من خلقه على الصورة ، ثبت النسب ، والمؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ، ولا يخذله ، فمن كان مؤمنا بالله من حيثما هو مؤمن ، فإنه يصدقه فى فعله ، وقوله ، وحاله ، وهذه هى العصمة فإن الله من كونه مؤمنًا يصدقه فى ذلك ولا يصدق الله إلا الصادق فإن تصديق الكاذب على الله محال فإن الكذب عليه محال وتصديق الكاذب كذب بلا شك فمن ثبت إيمانه بالله ، من كون الله مؤمنًا ، فإن هذا العبد لا شك أنه من الصادقين فى جميع أموره مع الله ، لأنه مؤمن بأن الله مؤمن به أيضًا فتنبه لماَ دللتك عليه ، ووصيتك به فى الإيمان بالله، من كونه مؤمنًا تنتفع ، فإنى قد أريتك الطريق الموصل إلى صراط مستقيم ، فإن الله على صراط مستقيم ، وليس إلا ما شرعه لعباده .

وصية - قال رضى الله عنه : إذا رأيت أنصاريًا أو أنصارية وإن كان عدواً لك فتحبه الحب الشديد ، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان ، فإن النبى ﷺ لقى امرأة من الأنصار فى طريقه فقال لها : «آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » [٢] .

واعمل أن كل من نصر دين الله فى أى زمان كان ، فهو من الأنصار ، وهو داخل فى حكم هذا الحديث .

واعلم أن الأنصار لدين الله رجلان ، الواحد نصر دين الله ابتداء من نفسه ،

---

(١) رواه الإمام البخارى فى صحيحه .

(٢) رواه الشيخان والإمام أحمد والنسائى عن أبى هريرة .

من غير أن يعرف وجوب ذلك عليه ، ورجل عرف وجوب نصرة الدين عليه بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾[١] فأمرهم بنصرة الله فأدى واجبًا فى نصرته ، فله أجر النصرة وأجر أداء الواجب ، بما نواه من امتثال أمر الله فى ذلك وتعين عليه ،ولو كفاه غيره مؤنة ذلك، فلا تتأخر عن أمر الله ، ونصرة الله ، قد تكون بما يعطى من العلم المظهر للحق الدافع للباطل ، فهو جهاد معنوى محسوس، فكونه معنويًا لأن الباطن يقبله ، فإن العلم متعلقه النفس ، وأما كونه محسوسًا فيما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة ، فيحصل للسامع أو الناظر ، بطريق السمع من المتكلم ، أو بطريق النظر من الكتابة ، وجهاد العدو نصرة محسوسة مما هى معنوية ، فإنه ما نال العدو من المقاتل له شيئًا فى الباطن يرده عن اعتقاده ، كما ناله من العالم إذا علمه وأصغى إليه ، ووفقه الله للقبول ، وفتح عين فهمه لها يورده عليه العالم ، فى تعليمه ، وهى أعظم نصرة ، وهو أعظم أنصارى لله ، يقول النبى ﷺ :«لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس »[٢] وقد طلعت الشمس على كل عالم عامل بخير فأنت خير منه إذا نصرت لتعلم العالم دين الله فى نفس هذا المخاطب .

ثلاثة من أعلام النبوة

وصية بتنبيه - قال رضى الله عنه : قال ذو النون : ثلاثة من أعلام الإيمان اغتمام القلب بمصائب المسلمين ،وبذل النصيحة لهم متجرعًا لمرارة ظنونهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم ، وإن جهلوه وكرهوه .

وقال محمد بن أحمد بن سلمة : أوصانى ذو النون لا تشغلنك عيوب

---

(١) سورة الصف (١٤) .
(٢) رواه الطبرانى في الكبير عن أبي رافع وقال صحيح الإسناد – ج ص ١٢٢ .

الناس عن عيب نفسك ، لست عليهم برقيب ، ثم قال : إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل أعقلهم عنه ، وإنما تستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه فى عقله ، حسن استماعه للمحدث ، وإن كان به عالمًا ، وسرعة قبولهم للحق ، وإن جاء ممن هو دونه ، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به .

الهجرة واجبة ومقوية

وصية - قال رضى الله عنه : وعليك بالهجرة ولا تقم بين أظهر الكفار ، فإن فى ذلك إهانة دين الإسلام وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله ، فإن الله ما أمر بالقتال إلا لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، وإياك والإقامة أو الدخول تحت ذمة كافر ما استطعت .

واعلم أن المقيم بين أظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانيهم لاحظ له فى الإسلام فإن النبى ﷺ قد تبرأ منه ولا يتبرأ رسول الله ﷺ من مسلم، وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال « أنا برىء من مسلم يقيم بين أظهر المشركين » [١] فما اعتبر له كلمة الإسلام وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين أظهر المشركين ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾[٢] .

---

(١) رواه أبو يعلى الموصلى بلفظه « أنا برىء من كل مسلم أقام مع المشركين » كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق .

(٢) سورة النساء آيه (٩٧) .

شرح معنى الحب فى الله والبغض فى الله
أو
الحب فى الله عند الغزالي

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض ، وينكشف الغطاء عنه بما نذكره ، وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع فى الاتفاق ، كالصحبة بسبب الجوار، أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أوفى السوق ، أو على باب السلطان، أو فى الأسفار ، وإلى ما ينشأ اختياراً ويقصد ، وهو الذى نريد بيانه إذا الأخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة ، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها ، والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة ، والمجاورة ، وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه ، وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود ، وذلك المقصود إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها ، وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة وإما أن يكون متعلقاً بالله تعالى ، فهذه أربعة أقسام .

القسم الأول : حب الإنسان لذاته بمعنى أنك تتلذ برؤيته ومعرفته وأخلاقه لاستحسانك له ، لصورته الظاهرة ، أو كمال عقله وحسن أخلاقه وللموافقه والمناسبة بين الطابع وهذا الحب لا يدخل فى الحب لله بل هو حب الطبع وشهوة النفس إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتضل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم .

القسم الثانى : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب

غيره . والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب . ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعمان ولا يلبسان ولكنهم الوسيلة إلى المحبوبات . فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث إنه وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب فى الله وإن لم يكون مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضا خارج عن الحب في الله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم و سيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس فى ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك ممن لايؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى ، وظلم الرعية بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذمومًا وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح ، وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها .

الإسراف فى حب الشيوخ

القسم الثالث : أن يحبه لا لذاته بل لغيره ، وذلك الغير ليس راجعًا إلى حظوظه فى الدنيا بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة فهذا أيضًا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لانه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل. ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى

درجة التعظيم فى ملكوت السماء إذ قال عيسى عليه السلام « من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً فى ملكوت السماء » بل الذى يتصرف بأمواله لله تعالى ويجمع الضيفان ويهيىء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربًا إلى الله فأحب طباخًا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبيين فى الله ، وكذا لو احب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين ، فقد أحبه فى الله ، بل نزيد على هذا ونقول إذا أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ، ويفرغه بذلك للعمل أو العلم ، ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة ، فهو محب فى الله ، بل نزيد عليه ونقول : إذا أحب من ينفق عليه من ماله ،ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه : وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله تعالى ، فهو محب فى الله ، فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة ، وكان المواسى والمواسى جميعًا من المتحابين فى الله . بل نزيد عليه ونقول : من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان، ويصون بها دينه ، أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية. ، فهو محب فى الله ، ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال، حتى اللقمة يضعها الرجل فى فىِّ امرأته بل نقول : كل من استهتر أى استغرق بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبًا فى الله ، لأنه لا يتصور أن يحب شيئًا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول : إذا اجتمع فى قبله محبتان محبة الله ، ومحبة الدنيا ، واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعًا، حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله تعالى ، وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه الأمرين فهو من المحبين فى الله ، كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا ، بالمواساة فى المال فأحبه من حيث إن فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة ، وهو وسيلة إليهما ، فهو محب فى الله

وليس من شرط حب الله أن لا يحب فى العاجل حظًا البتة إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾(١).

وقال عيسى عليه السلام فى دعائه « اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسوء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى » فدفع شماتة الأعداء من حظوط الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى ، بل قال لا تجعلها أكبر همى ، وقال نبينا ﷺ فى دعائه « اللهم إنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة » (٢) وقال ﷺ « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضًا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية ، والكرامة فى الدنيا كيف يكون مناقضًا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب إلى الأخرى ، فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم ، وإنما يحبها غداً لأن الغد سيصير حالاً راهنة ، فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضًا والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه أو تليمذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه ، فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله ، وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك ، وإن زاد زاد الحب ، ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل فى جملة الحب لله وحده هو أن كل حب

(١) سورة البقرة آيه (٢٠١) .

(٢) رواه الترمذى والطبرى والبيهقى عن ابن عباس وقال هو صحيح الإسناد .

لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده ، فهو حب فى الله وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب فى الله فذلك وإن دق فهو عزيز .

أعلى درجات الحب فى الله

القسم الرابع : أن يحبه لله وفى الله لا لينال منه علمًا أو عملا أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات ،وهو أدقها وأغمضها ، وهذا القسم أيضا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد ، فمن أحب إنسانًا حبًا شديدًا أحب محب ذلك الإنسان ، وأحب محبوبه ، وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه ، وأحب من يتسارع إلى رضى محبوبه حتى قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المومن أحب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة ، فأصل المحبة لا يكفى فيه ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها ، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب استولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار أى الاستغراق فى الحب ، فيتعدى إلى كل موجود سواه ، فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ، ومن أحب إنسانًا أحب صنعته وخطه به وجميع أفعاله ، ولذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة الثمر مسح بها عينيه وأكرمها وقال : «إنه قريب العهد بربنا سبحانه وتعالى » .

وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه ،وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمه ، وتارة لذاته لا لأمر آخر ، وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها ، وكيفما اتفق حب الله تعالى فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضروبًا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو فى نفسه مؤلم مكروه ، ولكن

فرط الحب يضعف الإحساس بالألم ، وقد انتهت محبة الله تعالى بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة ، فإن الكل من الله تعالى ،ولا نفرح إلا بما فيه رضاه قال سمنون .

وليس لى فـــى ســـــواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

والمقصود أن حب الله تعالى إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل ، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله تعالى ، من خلق حسن ، أو تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين ، أحدهما عالم عابد ، والآخر جاهل فاسق ، إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العباد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته ، وبحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته ، وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فذلك الميل هو حب فى الله ولله ، من غير حظ ، فإنه إنما يحبه لأن الله تعالى يحبه ، ولأنه مرضى عند الله تعالى ، ولأنه يحب الله تعالى ، ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى، إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ، فلا يظهر له ثواب وأجر ، وإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ، وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المال لما تصور حب الأموات من العلماء والعباد ، ومن الصحابة والتابعين ، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه، وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين ، ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم ، وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله تعالى ، ومن أحب ملكاً أو شخصًا جميلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه ، إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس، وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب ، وقد يكون المحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض

كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره ، فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لاتعرف درجة لمحبوب إلا بمحبوب يتركه فى مقابلته ، فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا، مثل أبى بكر الصديق فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا ، فزوج ابنته السيدة عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ وبذل له جميع ماله ، فحصل من هذا أن كل من احب عالمًا أو عابداً أو أحب شخصًا راغبًا فى علم أو فى عبادة أو فى خير فإنما أحبه فى الله ولله ، وله فيه من الأجر والثواب قدر قوة حبه فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته . انتهى كلام الإمام الغزالى باختصار فى بعض الأقسام .

وقد ذكر المؤرخون أن الإمام مالكاً قاسم الإمام الشافعى ماله مرتين أعطاه نصف ماله وهو متوجه إلى العراق ، ثم بعد عودته منها قاسمه مرة أخرى وكانت له فى المرة الثانية ثروة واسعة فأعطى نصفها إلى الإمام الشافعى فصار غنيًا بذلك النصف ، وفرقه على أقاربه حينما وصل إلى مكة قبل أن يدخلها فرضى الله عنهما .

بيان البغض فى الله تعالى

قال الإمام الغزالى فى الإحياء أيضا :

اعلم أن من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله ، فإنك إذا أحببت إنسانًا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلابد أن تبغضه لأنه عاص لله ، وممقوت عند الله ،ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده ،وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وهو مضطرد فى الحب والبغض فى العادات ، ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة فإذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى لبعض أنبيائه « هل واليت فى وليًا وهل

عاديت فى عدواً » وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته إذ تقدر على أن تحبه ، أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجور أخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصى ، فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة ، فأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ، كمن له زوجة حسناء فاجرة ، أو ولد ذكى خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبهما من وجه ويبغضهما من وجه ،ويكون معهما على حالة بين حالتين ، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكى بار . والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكى عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ، فكذلك ينبغى أن تكون أحوالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ، ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب ، وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه فإن قلت كل مسلم إسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام ؟ فأقول : تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما فتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه ، وقدر الجناية على حق الله تعالى والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر تكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال ، وبين الإقبال والإعراض ، وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبالغ فى إكرامه مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك، ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الموافقة فكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرةولسخطه

أخرى فإن قلت فبماذا يمكن إظهار البغض ؟ أقول : أما فى القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة بالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى وأما فى الفعل فيقطع السعى فى إعانته مرة وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى ، وبعض هذ أشد من بعض ، وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه أما ما يجرى مجرى الهفوة التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها ، فالأولى فيه الستر والإغماض ، أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة ، فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة. وأخوة فله حكم آخر ، وأما إذا لم تتأكد أخوته وصحبته فلابد من إظهار أثر البغض إما فى الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه، وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه ، وهذا أشد من الإعراض ، وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك فى الفعل أيضًا رتبتان إحداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه ، وهو أقل الدرجات والأخرى السعى فى إفساد أغراضه عليه ، كفعل الأعداء المبغضين وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية أما ما لا يؤثر فيه فلا، مثاله رجل عصى الله تعالى بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطًا بها بالمال والجمال والجاه ، إلا أن ذلك لايؤثر فى منعه من شرب الخمر ولا فى بعثه وتحريضه عليه فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعى فى تشويشه أما الإعانة فلو تكرتها إظهارًا للغضب عليه فى فسقه فلا بأس ، وليس يجب تركها، إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك و لكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فكذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتلق بك وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] إذ تكلم مسطح فى

---

(١) سورة النور آية (٢٢).

واقعة الأفك فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح . وكان الصديق رضى الله عنه كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم . والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلم فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالى من تقويته قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن فى حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى ، وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة، وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره ، فأما من عصى الله فى نفسه ، فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ،ومنهم من شدد الإنكار واختار هجرهم ، فإن قلت فأقل الدرجات فى إظهار البغض الهجر ، والإعراض ، وقطع الرفق ، والإعانة ، فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه ؟ فأقول : لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب ، فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية ، بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض هل، والى من يعرض عنه ولا يتعرض له ، والى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد ، فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال فى هذه الأمور إما مكروهة ، وإما مندوبة ، فتكون فى رتبة الفضائل ، ولا تنتهى إلى التحريم والإيجاب ، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب ،وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره ، وإنما المتعدى إفراط الحب واستيلاؤه ، وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهر التكليف فى حق عوام الخلق أصلاً .

بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم وهم على أقسام :

القسم الأول :

(الكافر) : وهو إن كان محاربًا يستحق القتل والإرقاق ، وليس بعد هذين إهانة ، وأما الذمى فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه ، ونحو ذلك ، والأولى الكف عن مخالطته ، ومعاملته ، ومواكلته ، وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها إلى حد التحريم ، قال الله تعالى ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾[١] وقال عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾[٢] الآية وقال ﷺ « المسلم والمشرك لا تتراءى ناراهما » .

القسم الثانى :

(المبتدع) : وهو إما أن يكون داعيًا إلى بدعته أو يكون من عوام الناس ، فأما المبتدع الذى يدعو إلى بدعته ، فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمى لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة ، وإن كان مما لا يكفر ، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكفر، لأن شر الكافر غير متعد ، فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الإسلام ، واعتقاد الحق ، وأما المبتدع الذى يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق ، فشره متعد ، فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه لبدعته ، وتتغير الناس

---

(١) سورة المجادلة آيه (٢٢) .

(٢) سورة الممتحنة آيه (١) .

عنه أشد ، وإن سلم هذا المبتدع عليك فى خلوة فلا بأس برد جوابه ، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح فى نفسه بدعته ويؤثر فى زجره فترك الجواب أولى ، لأن جواب الإسلام وإن كان واجبًا يسقط بأدنى غرض فيه مصلحة، حتى يسقط بكون الإنسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته، وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض ، وإن كان فى ملأ فترك الجواب أولى تنفيرًا للناس عنه ، وتقبيحًا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه ، والإعانة له ، لا سيما فيما يظهر للخلق ، قال ﷺ « من انتهز صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن ألان له وأكرمه ولقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وأما المبتدع العامى : الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون ، والأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به فى النصح ، فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الإعراض، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه، ورسوخ عقيدته فى قلبه، فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها .

القسم الثالث:

العاص بفعله وعمله لا باعتقاده، وهو لا يخلو، إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم، والغصب، وشهادة الزور، والغيبة، والإفساد بين الناس، والمشى بالنميمة، وأمثالها، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم، وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم ، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق ، وإما أن يكون العاصى يهيىء أسباب الفسق ويسهل طرقه للناس فهذا أخف من الأول فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ، وهو أيضًا يقتضى الإهانة والإعراض عنه ،

والمقاطعه وترك جواب السلام ، إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره ،وإما أن يكون العاصى يفسق فى نفسه بشرب خمر، أو ترك واجب ، أو مقارفة محظور ، يخصه ، فالأمر فيه أخف من الأولين ، ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ، ولو بالضرب ، والاستخفاف فإن النهى عن المنكر واجب ، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته، وهو مصر عليه ، فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع ، فإما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة ، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل ، فعند هذا يقال : الأعمال بالنيات إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع ، وفى العنف والإعراض نوع من الزجر ، والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده ، إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب ، والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح ، وقد يكون رفقة فى العاصى عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض ، أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه أو مال بظن قريب أو بعيد ، وكل ذلك تردد عن إشارات الشيطان وتخيلاته ، وبعيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب فى أعمال الدين ، مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلب هو المفتى فيه ، وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطىء ، وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به ، وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظانًا أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة ، ويدل على تخفيف الأمر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله .

ما رواه البخارى «أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله ﷺ مرات ، وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال ﷺ لا تكونوا عون

الشيطان على أخيكم » وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ انتهى كلام الإمام الغزالى باختصار قليل [١] وبه يتم الكتاب والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله تحقيق كتاب

سبيل النجاة فى الحب فى الله والبغض فى الله

(١) ورد هذا في كتاب (إحياء علوم الدين للإمام الغزالى) في الجزء الثانى من كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وهو الباب الخامس من ربع العادات وفيه ثلاثة أبواب – وهو معد للطبع بتحقيقنا إن شاء الله تعالى .

فهــــرس الكتاب

